

## تفسير السعدي

@ 225 @ نعمة ا □ عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا  
□ وعلى ا □ فليتوكل المؤمنون ) ^ يذكر تعالى عباده المؤمنين ، بنعمه العظيمة ، ويحثهم  
على تذكرها بالقلب واللسان . وأنهم كما أنهم يعدون قتلهم لأعدائهم ، وأخذ أموالهم  
وبلادهم وسبيهم نعمة فليعدوا أيضا ، إنعامه عليهم ، بكف أيديهم عنهم ، ورد كيدهم في  
نحورهم ، نعمة . فإن الأعداء ، قد هموا بأمر ، ووطنوا أنهم قادرون عليه . فإذا لم يدركوا  
بالمؤمنين مقصودهم ، فهو نصر من ا □ ، لعباده المؤمنين ينبغي لهم أن يشكروا ا □ على ذلك  
، ويعبدوه ويذكروه . وهذا يشمل كل من هم بالمؤمنين بشر ، من كافر ، ومنافق ، وباغ ، كف  
□ شره عن المسلمين ، فإنه داخل في هذه الآية . ثم أمرهم بما يستعينون به على الانتصار  
على عدوهم ، وعلى جميع أمورهم فقال : ^ ( وعلى ا □ فليتوكل المؤمنون ) ^ أي : يعتمدوا  
عليه في جلب مصالحهم الدينية والدنيوية ، ويتبرأوا من حولهم وقوتهم ، ويثقوا با □ تعالى  
، في حصول ما يحبون . وعلى حسب إيمان العبد ، يكون توكله ، وهو من واجبات القلب المتفق  
عليها . ^ ( ولقد أخذ ا □ ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال ا □ إني  
معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم ا □ قرضا حسنا  
لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل  
سواء السبيل \* فيما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه  
ونسوا حطا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح إن  
ا □ يحب المحسنين ) ^ يخبر تعالى أنه أخذ على بني إسرائيل الميثاق الثقيل المؤكد . وذكر  
صفة الميثاق وأجرهم ، إن قاموا به ، وإثمهم ، إن لم يقوموا به . ثم ذكر أنهم ما قاموا  
به ، وذكر ما عاقبهم به فقال : ^ ( ولقد أخذ ا □ ميثاق بني إسرائيل ) ^ أي : عهدهم  
المؤكد الغليظ . ^ ( وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا ) ^ أي : رئيسا وعريفا على ما تحته ،  
ليكون ناظرا عليهم ، حاثا لهم على القيام بما أمروا به ، مطالبيا يدعوهم . ^ ( وقال  
ا □ ) ^ للنقباء الذين تحملوا من الأعباء ما تحملوا : ^ ( إني معكم ) ^ أي : بالعون  
والنصر ، فإن المعونة ، بقدر المؤنة . ثم ذكر ما واثقهم عليه فقال : ^ ( لئن أقمتم  
الصلاة ) ^ ظاهرا ، وباطنا ، بالإتيان بما يلزم وينبغي فيها ، والمداومة على ذلك . ^ (   
وآتيتم الزكاة ) ^ لمستحقيها ^ ( وآمنتم برسلي ) ^ جميعهم ، الذين أفضلهم وأكملهم ،  
محمد صلى ا □ عليه وسلم . ^ ( وعزرتموهم ) ^ أي : عظمتموهم ، وأديتم ما يجب لهم من  
الاحترام والطاعة . ^ ( وأقرضتم ا □ قرضا حسنا ) ^ وهو الصدقة والإحسان ، الصادر عن الصدق

والإخلاص ، وطيب المكسب . فإذا قمتم بذلك ^ ( لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار ) ^ . فجمع لهم بين حصول المحبوب بالجنة وما فيها من النعيم ، واندفاع المكروه بتكفير السيئات ، ودفع ما يترتب عليها من العقوبات . ^ ( فمن كفر بعد ذلك ) ^ العهد والميثاق المؤكد بالإيمان ، والالتزامات المقرون بالترغيب بذكر ثوابه . ^ ( فقد ضل سواء السبيل ) ^ أي : عن عمد وعلم ، فيستحق ما يستحقه الضالون ، من حرمان الثواب ، وحصول العقاب . فكأنه قيل : ليت شعري ، ماذا فعلوا ؟ وهل وفوا بما عاهدوا الله عليه ، أم نكثوا ؟ فبين أنهم نقضوا ذلك فقال : ^ ( فيما نقضهم ميثاقهم ) ^ أي : بسببه عاقبناهم بعدة عقوبات : الأولى : أن ^ ( لعناهم ) ^ أي : طردناهم وأبعدناهم من رحمتنا ، حيث أغلقوا على أنفسهم أبواب الرحمة ، ولم يقوموا بالعهد الذي أخذ عليهم ، الذي هو سببها الأعظم . الثانية : قوله : ^ ( وجعلنا قلوبهم قاسية ) ^ أي : غليظة لا تجدي فيها المواعظ ، ولا تنفعها الآيات والنذر ، فلا يرغبهم تشويق . ولا يزعجهم تخويف . وهذا من أعظم العقوبات على العبد ، أن يكون قلبه بهذه الصفة ، التي لا يفيده معها ، الهدى ، والخير إلا شرا . الثالثة : أنهم ^ ( يحرفون الكلم عن مواضعه ) ^ أي : ابتلوا بالتغيير والتبديل ، فيجعلون الكلام الذي أراد الله له معنى ، غير ما أراد الله ، ولا رسوله . الرابعة : أنهم ^ ( نسوا حظا مما ذكروا به ) ^ . فإنهم ذكروا بالتوراة ، وبما أنزل الله على موسى ، فنسوا حظا منه . وهذا شامل ، لنسيان علمه ، وأنهم نسوه ، وضاع عنهم ، ولم يوجد كثير مما أنساهم الله إياه ، عقوبة منه لهم . وشامل لنسيان العمل ، الذي هو الترك ، فلم يوفقوا للقيام بما أمروا به . ويستدل بهذا على أهل الكتاب ، بإنكارهم بعض الذي قد ذكر في كتابهم ، أو وقع في زمانهم ، أنه مما نسوه . الخامسة : الخيانة المستمرة التي ^ ( لا تزال تطلع على خائنة منهم ) ^ أي : خيانتهم ، ولعباده المؤمنين . ومن أعظم الخيانة منهم ، كتمهم الحق ، عن من يعظهم ، ويحسن فيهم الظن ، وإبقاؤهم على كفرهم ، فهذه خيانة عظيمة . وهذه الخصال الذميمة ، حاصلة لكل من اتصف بصفاتهم . فكل من لم يقم بما أمر الله به ، وأخذ به عليه الالتزام ، كان له نصيب من اللعنة وقسوة القلب ، والابتلاء بتحريف الكلم ، وأنه لا يوفق للصواب ونسيان حظ مما ذكر به . وأنه لا بد أن يبتلى بالخيانة . نسأل الله العافية . وسمى الله ما ذكروا به حظا ، لأنه هو أعظم الحظوظ ، وما عداه فإنما هي حظوظ دنيوية . كما قال تعالى : ^ ( فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا : يا ليت لنا مثل ما